

الأكاديميون يدرسون النص المسرحي كأدب ويهملونه كعرض

الشوام يعتبرون أباخليل القباني مؤسس المسرح والمصريون يعقوب صنوع



هل يمكن للبحث الأكاديمي أن يكون في خدمة المسرح والمسرحيين؟

ويشير المرابط إلى أن الإقبال المتزايد الذي شهدته هذه الدراسات على امتداد ما يقارب المئة سنة يقدم الدليل على مكانتها ودورها الهام اليوم، ويضعنا في الوقت نفسه في حالة تساؤل حول حدودها وقابليتها للمزيد من التطور.

ويؤكد، أخيراً، من خلال الدراسة الإحصائية التي قدمها في الملتقى إلى أن ظاهرة البحث الأكاديمي المسرحي في تونس قد تطورت تطوراً هاماً خاصة في السنوات الأخيرة، بعد الثورة، وتتنوع في موضوعاتها ومناهجها وتوجهها، وأنه إلى أن بعض البحوث الأكاديمية تحظى باهتمام من خارج الحدود، وبالتالي بالترجمات.

هذا وقد استمرت فعاليات أيام الشراكة المسرحية حتى السادس من الشهر الحالي، وشارك في مسابقتها الرئيسية 13 عرضاً مسرحياً محلياً.

على الرغم من المعارضة ومحاولات التهميش التي تعرّض لها البحث الأكاديمي المسرحي في بداياته سواء من قبل الوسط الأكاديمي أو المسرحي الرافض للتجديد والحداثة، فقد نجح هذا الاختصاص في أن يستقطب اهتماماً كبيراً بفضل طرافة مضامينه وخصوصية مقارباته، وقدرته على فتح آفاق جديدة لدراسة الظاهرة المسرحية في مختلف أطوارها وإثرائها بمناهج نظرية وعملية متجددة توجب ممارستها.

لكن وعلى الرغم من الاهتمام بتأسيس الدراسات المسرحية المختصة، إلا أنها بقيت لوقت طويل مقتصرة على الدراسات الأساسية لمستوى الأستاذية إلى أن تم إقرار نظام (إجازة - ماجستير - دكتوراه) وإرساء دراسات المرحلة الثالثة من الماجستير والدكتوراه في بداية الألفية الثالثة.

التي زارها، فقد اكتشف أن تلك البلدان تعشش في عقول مفكرها فكرة المؤسس الوحيد والأوحد، والذي ينتمي لثقافتها وبيئتها، فالسوريون على سبيل المثال يعتبرون أباخليل القباني هو مؤسس المسرح، بينما المصريون يعتبرون الريادة لموليير مصر يعقوب صنوع، وهكذا.

لا بد من التجديد

أما الباحث معز المرابط عضو المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، فتحدث عن التجربة التونسية في البحث الأكاديمي ويعتبرها امتداداً لحراك مسرحي تواصل لأكثر من قرن، حيث تركزت تلك التجربة كضرورة لمواكبة مسرحية عرفت تحولات عميقة، وكمحاولة لفهم الظاهرة المسرحية في أبعادها الجمالية والفنية.

فمناهج البحث العلمي الأكاديمي في الوطن العربي صارمة ولها قواعد وبروتوكولات ولا تقوم فكرتها على الإبداع أو حتى على خلق واكتشاف نظريات علمية وفنية جديدة، بقدر ما هي تقليد أعمى للمدارس الأجنبية التي سبق وأن درسها طالب المسرح في سنواته الأولى.

وينوه أحمد شنقيفي أيضاً أن مشكلة أخرى تتمثل في القوقعة التي يعيشها العالم، فلا اضطلاع للغرب على ثقافة ومسرح المنطقة العربية وأعلامها، فالإنجليز مثلاً يعتبرون شكسبير أهم الكتاب والمخرجين المسرحيين، كما أنه لا اطلاع لبلاد المشرق العربي (سوريا ولبنان وحتى مصر) إلا فيما ندر على تجارب مسرحية بلاد المغرب العربي (تونس والجزائر والمغرب)، مستدلاً على ذلك من خلال تجربته الشخصية أثناء إقامته لسنوات في البلدان العربية.

هل يمكن للبحث الأكاديمي أن يكون في خدمة المسرح والمسرحيين؟ وهل هناك فرق ما بين المسرحية كجنس أدبي وبينها كعرض مسرحي؟ هذه التساؤلات وغيرها مما يتعلق بقضايا المسرح كانت موضوع الملتقى الفكري للبحث الأكاديمي الذي أقامته أيام الشراكة المسرحية في دورتها الثلاثين.

البلدان الأجنبية، وعلى كثرتها، ماهي إلا رسائل تعتمد على مبدأ القص واللصق. أما الدكتور أحمد شنقيفي الأستاذ في جامعة عنابة والأستاذ الزائر في جامعه السوربون، فيرى أن أهم ما يعيب تلك الأبحاث أنها تخطط ما بين الأدب والمسرح وتكتفي بالجانب النظري، فتعامل مع النص المسرحي كجنس أدبي لا كعرض مسرحي، وهو في كلامه هذا لا ينفي وجود علاقة ما بين المسرح والفنون والآداب، ولكن المسرح يبقى فن المقارنة ما بين العمل الدرامي والنص المسرحي الذي يكتب على الخشبة، ولكن في النهاية هناك نصان منفصلان ولكل منهما أدواته وتقنياته.

وقد تكون هذه النقطة التي أشار إليها شنقيفي تشكل مشكلة حقيقة بالنسبة إلى الباحث الذي تستصني عليه مشاهدة ومتابعته التجارب والعروض المسرحية سواء الأجنبية أو حتى العربية، في ظل عدم وجود إكسابات للتبادل الفني المسرحي، وأقول نجم معظم المهرجانات المسرحية العربية في المنطقة، الأمر الذي يضطر الباحث تلقائياً للاكتفاء بالنص الأدبي والعمل عليه في دراسته، رغم أن التكنولوجيا الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي قد اتاحت مؤخرًا منصات تمكن من مشاهدة بعض العروض المسرحية، أو طلب تحميلها إلكترونياً من أصحابها مباشرة.

النظري والعملية

يعتبر شنقيفي أيضاً أن مشكلة البحث الأكاديمي الرئيسية في كونه ينقسم إلى قسمين (قسم نظري وقسم عملي أو تحليلي)، ويعتبر المنهج البحثي أن القسم النظري هو مقدمة البحث، فيما يأتي القسم التحليلي أو السيميولوجي في نهايته، وهو ما يعتبره خطأ، فكيف لنا أن نبدأ بالنظريات؟ ومن أين سنعرّف بتلك النظريات ما لم نكتشفها بعد مشاهدة الفعل الذي يمثل العرض المسرحي؟ وهو أمر يربك جميع الباحثين العرب وليس فقط الجزائريين.



لمى طيارة
كاتبة سورية

في إطار الدورة الثلاثين لأيام الشراكة المسرحية التي نظمتها دائرة الثقافة في حكومة الشارقة، وإلى جانب العروض المسرحية المحلية التي تسابقت فيما بينها، نظمت دائرة الثقافة ندوات وملتقيات فكرية بهدف البحث في المشكلات التي يعاني منها المسرح العربي والمسرحيون العاملون فيه، في إطار تلك الملتقيات بحث ملف بعنوان "البحث الأكاديمي: الإشراقات والإشكاليات".

أهم ما يعيب الأبحاث الأكاديمية أنها تخطط ما بين الأدب والمسرح وتكتفي بالجانب النظري

لم يات اختيار البحث الأكاديمي في السنوات الأخيرة من فراغ أو عبث، فواحدة من أهم المشكلات التي سجلت حول أطروحات الدكتوراه والماجستير المقدمة في قضايا المسرح، أنها أطروحات لا تمكن الاستفادة منها خارج حدود البحث الأكاديمي لأنها، في النهاية، مجرد دراسات أكاديمية صرفة، غالباً ما تقدم بهدف الحصول على الدرجة العلمية، لذلك ما إن ينتهي البحث ويحصل الطالب على الدرجة العلمية حتى تصبح هذه الرسائل حبيسة الأدرج أو مكتبات المعاهد والجامعات.

من هذه النقطة رأى الدكتور فراس الريسون، الذي أسس قسم التصميم السينمائي والتلفزيوني والمسرحي في جامعة عمان الأهلية، أن معظم البحوث الأكاديمية لطيلة الدكتوراه والماجستير الأردنيين والتي تنجز خارج الأردن، كما في كلية الفنون في العراق، وبعض

«بورترية» بعد «العميد» ثاني أعمال المخرج السوري باسم السلكا

بعض المتاعب التي يعانون منها والإمال التي يريدهم الوصول إليها".

و"بورترية" سيكون مطروحاً في الموسم الرمضاني القادم، وقد شرع السلكا في تصويره فعلياً، مؤكداً أنه سيدخل الموسم الرمضاني وهو لا يزال في مرحلة التصوير والمونتاج، كون العمل طويلاً، فهو مكون من 38 حلقة.



باسم السلكا
منصات العرض الحديثة
على الت كسرت قاعدة
عد الحلقات المحددة

ويشيء من الحسرة والألم يقول السلكا "تمنيت في هذا المسلسل أن يساهم بعض القائمين على العمل الدرامي السوري بخبرتهم الكبيرة، أولئك الذين يتحدثون عن ذكريات جميلة كانت لهم فيها. أتوجه إلى هؤلاء بصيحة ورجاء، أن يتجهوا للعمل وليس التظهير فحسب، فهو لن يعيد الحالة الصحية للدراما السورية".

وعن الضجيج السياسي العالمي الموجود والمستعر حالياً وضرورة التعامل معه فنياً، يرى باسم السلكا أن المادة الفنية تنجز بعد أن تكون الأمور السياسية والإنسانية قد اتضحت، وظهرت في تشكيلاتها المستقرة. ويسترسل "طالما أننا لم نصل بعد لهذه المرحلة فالمادة الفنية ليست جاهزة، فحجم المتغيرات كبير والأوضاع باتت حادة سواء على مستوى الدول أو المنظمات الدولية أو الأشخاص، وهذا ما يؤجل بالضرورة أي مشروع فني يمكن أن ينجز حالياً".

من مخرجي الدراما السورية ليسوا أكاديميين.

ويضيف "أنا كمخرج للمسلسل ليس لدي تفسير علمي للموضوع. فالمشاهد يعطي تفسيراً مختلفاً وربما أهم، أحياناً. إحساسي بالمشهد هو العامل الذي يجعلني أصنعه بهذا الشكل أو غيره، فالموضوع ليست له علاقة بالدراسة الأكاديمية إنما بالمخزون الفني للمخرج والكلم العرفي الذي يمتلكه ويصنع من خلاله فنه، الفن الدرامي في هذا العصر تحكمه علاقات جديدة وأساليب عمل مختلفة يجب أن تتطور معها".

ومثاله على ذلك، منصات العرض التي تخلت عن إطارها التلفزيوني التقليدي لتتحم منصات النت، الأمر الذي كسر قاعدة عد الحلقات المحددة، وهنا يكون المحتوى هو المجال الطبيعي لسرد القصة بغض النظر عن عدد الحلقات، فيمكن للعمل أن يقدم بعض حلقات أو ثمان، فالمهم هنا كيفية إيصال الفكرة للمتلقى، لا عد الحلقات.

وبدأ باسم السلكا مؤخرًا في تصوير مسلسلته الثاني الذي يوقعه بصفته مخرجاً تلفزيونياً، بعد العشرات من الأعمال التي قدمها سابقاً ككاتب للسيناريو. ويحمل المسلسل عنوان "بورترية" بعد أن كان "ومن الحب"، وهو من إنتاج إيمار الشام.

والمسلسل، هو المحاولة التلفزيونية الأولى للكاتب تليد الخطيب ابن الشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب وشقيق المخرج السينمائي والتلفزيوني الشهير باسل الخطيب.

وعن المسلسل يقول السلكا "العمل يحكي عن شريحة الشباب ومشكلاتهم وطبيعة حيواتهم، ويلقي الضوء على

أما بالنسبة للحالة البصرية، فقد أوجد المخرج/ الكاتب شيئاً مختلفاً من خلال الاتفاق مع مدير التصوير والمونتير على أن يكون اللون عاملاً مساعداً في تكوين مزاج الصورة. من هناك تم استخدام لوان الخلفية بين الرمادي والأزرق ليمنح للحدث بروته وحياديته، أما اللون الطبيعي البشري فقد تم استخدامه لإيضاح العلاقة الطبيعية بين الشخصيات. كذلك اختلفت الألوان في المخبم لكي تحمل دلالات بصرية مؤلفة.

ويعترف السلكا أن هذا التكيف الفني يأتي به كل مخرج بشكل مغاير عن الآخر وهو موضوع لا علاقة له بالدراسة الأكاديمية، على اعتبار أن قسماً كبيراً

بالنسبة لمرحلة التنفيذ. و"العميد" يتحدث عن عالم الجريمة ويكشف خطوط جريمة تقع ويفسر وقائعها، ولكن الخط الواسع فيه هو القانون بما ينسجمه من انعكاسات اجتماعية وإنسانية.

ويسترسل السلكا "في الحلقة الأخيرة يصل هذا العميد إلى وجهة نظر مختلفة كونه اكتشف أن القوانين التي درسها ثم قام بتعليمها لطلبة كلية القانون في كفة وهموم الناس في كفة أخرى. سرد القصة البوليسية في المسلسل تطلب مني الأ أوضح أحداث العمل من خلال الحوار الذي يدور بين الشخصيات، فهناك شيء يقال وشيء آخر يستنتج، وهذا لكي يكون المتلقي شريكاً معنا في العمل".



كاتب مسلسل «الهيبة» لا تغريه الكتابة للدراما

نضال قوشحة

كاتبة سورية

عمل السيناريست والمخرج السوري باسم السلكا مطولاً في العيد من الأعمال السورية والعربية، وقد قبل فترة عمله الأولى على صعيد الإخراج التلفزيوني، هو مسلسل "العميد" من بطولة تيم حسن وكاريس بشار، وهو يعرض الآن على منصات التواصل الاجتماعي وبعض الشاشات العربية. زارته "العرب" وهو يستعد للبدء في تصوير مسلسلته الثاني "بورترية" الذي سيقدّم في الموسم الرمضاني القادم. في مسلسلته "العميد" يذهب السلكا في تحقيق حالة تشويق كبرى من خلال النص الذي كتبه بنفسه، ومن خلال أسلوب إخراجي يعتمد إيجاد دلالات بصرية لونية محددة تخدم الفكرة المقدمة، فقدّم عمله في عشر حلقات تلفزيونية.

عن ذلك يقول باسم السلكا لـ "العرب" "هناك علاقة جدلية بين الكاتب والمخرج في أي عمل تلفزيوني، هذه العلاقة تصبح خاصة عندما يكون الكاتب والمخرج شخصاً واحداً، بحيث تكون الأفكار في ذهن واحد، لكن عندما يكون هناك كاتب ومنمّة مخرج، فإن الأخير سيكون